بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

● **مفهوم الغزل:**

كلمة «غزل» فى اللغة تعنى الشغف بمحادثة النساء والتودد إليهن. وغازل المرأة: حادثها وتودد إليها. وتغزل المرأة: ذكر محاسنها ووصف جمالها. والغزل كفنّ شعرى هو أدب وجدانى يعبر عن المشاعر والأحاسيس فى مجال الحب، ويتخذ من المرأة محورًا للحديث دائمًا، حيث إن الشعراء جعلوا الصلة الطبيعية بين الرجل والمرأة أداة لإقامة صرح الغزل.

● **نشأة الغزل:**

الغزل فى العصر الجاهلى لا تكاد أن تخلو قصيدة واحدة منه، وقد كان مبعثه فى ذلك العصر حياة الصحراء وما فيها من ترحال يفرق بين المحبين، ووجود المرأة العربية العفيفة الممنَّعة التى يزداد ولوع الرجال بها. هذا إلى أن البيئة الصحراوية لم يكن فيها من مظاهر الجمال ما هو أجمل من المرأة، فلا رياض ولا قصور ولا أنهار مما أيقظ وجدان الشاعر العربى للحديث عن حب المرأة الذى ينشر على تلك الحياة القاسية جوًّا من المرح والسرور يقضى على الرتابة والملل. بالإضافة إلى أن الشاعر العربى فارس شجاع لن تكتمل جوانب فروسيته إلا بالمحبوبة التى يدافع عنها ويحميها، ويظهر أمامها فى صورة الخاضع لسلطان حبها، لذلك نشأ فن الغزل الذى افتتح به الشاعر العربى معلقته باكيًا على الأطلال وذكرى الحبيب، رغم أن هذا الشاعر كان يتجنب البكاء أمام أعظم الأخطار والأهوال خوفًا من ضياع مكانته ومنزلته فى قبيلته.

● **أنواع الغزل:**

(أ) **الغزل الصريح:** وهو الذى يصرح فيه الشاعر بمحاسن المرأة الجسدية، ويستغرق فى وصف مفاتنها مما يؤدى إلى إثارة الغرائز والشهوات، وشيوع اللهو والمجون. والدين الإسلامى الحنيف يرفض هذا الغزل لأنه يتنافى مع قيم الطهر والعفاف ويقلل من قيمة المرأة التى تعتبر شريكة مخلصة للرجل فى حياته وتتمتع باحترامه حتى أن بعض ملوك العرب نسبوا إلى أمهاتهم كعمرو بن هند، والمنذر بن ماء السماء. والغزل الصريح يكون

أكثر انتشارًا فى البيئة الحضرية نظرًا لشيوع الترف واللهو، ومن أبرز شعرائه امرؤ القيس وعمر بن أبى ربيعة فى الشعر القديم، ونزار قبانى فى الشعر الحديث.

(ب) الغزل العفيف: ويسمى بالغزل العذرى لأن الشاعر يصف فيه المرأة وصفًا معنويًّا فيبرز فيها صفات الطهر والعفاف والذكاء ويجعلها كائنًا يموج بالمشاعر الإنسانية الرقيقة والعواطف النبيلة، كما أنه يركز على وصف آلام الحب والفراق والشوق والهجر وقوة الوجد، ومرارة الحرمان واللوعة، مترفعًا عن شهوات النفس ومطالب الجسد. وهذا النوع من الغزل يكون أكثر انتشارًا فى البادية نظرًا لتمسك الأفراد بالقيم والعادات البدوية، ومن أقطاب الغزل العفيف فى الشعر القديم جميل بن معمر وعباس بن الأحنف، وفى الشعر الحديث أبو القاسم الشابى وإبراهيم ناجى.

● فن الغزل فى أدبنا العربى القديم:

شعرنا العربى على امتداد القرون حافل بالكنوز الثمينة من قصائد الحب والغزل، ولن نجد فى العصر الجاهلى شاعرًا احتلت المرأة مكانة بارزة فى شعره أكثر من امرئ القيس الذى يرى المرأة مخلوقًا جميلًا رقيقًا يصفه ويستغرق فى وصفه حسيًّا. فالمحبوبة فى نظره ذات خصر ضامر وسيقان ممتلئة، لا رهلة ولا مسترخية، وإذا نظرت إليها صدت حياءً وخجلًا فيبدو خدها جميلًا أسيلًا بضًّا، وتقى الناس بعينين واسعتين كعينى بقرة وحشية.

مُهَفْهَفَةٌ بَيْضَـــاءُ غَيْرُ مُفَاضَـةٍ تَرَائِبُهَا مَصْقُـــولَةٌ كَالسَّجَنْجَلِ (١)

تَصُدُّ وتُبْدِى عَنْ أَسِيلٍ وَتَتَّقِى بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مُطْفِلِ (٢)

وعندما نتأمل شعر الغزل فى العصر الأموى نجد عمر بن أبى ربيعة القرشى الذى نشأ فى بيت ترف ومجد متأثرًا بالبيئة الحجازية الرقيقة، وبعوامل سياسية واقتصادية أنضجت الغزل والغناء بالحجاز وجعلت منه شاعرًا مفتونًا بالغزل، ولا سيما نوعه القصصى الذى تناول به نساء الأشراف فى مواسم الحج وغيره حتى تأذى به الناس ونفاه عمر بن عبد العزيز لذلك. وعمر بن أبى ربيعة شعره كله حول موضوع واحد هو الغزل، وقد تفرد فى غزله القصصى بالنفاذ إلى خوالج نفس المرأة، وقدرته على تصوير عواطفها، والإحاطة بحركاتها وإشاراتها. وقد قال عنه الأديب والشاعر فاروق شوشة: إنه استطاع أن يخط فى مسيرة الشعر العربى عامة، وشعر الغزل والحب خاصة أثرًا فريدًا غير متكرر

(١) مهفهفة: لطيفة الخصر. المقاضة: عظيمة البطن. الترائب: موضع القلادة من الصدر. السجنجل: المرآة.
(٢) أسيل: ناعم. جرة مطفل: ذات طفل.

obeikandi.com

تنتمى جذوره البعيدة إلى امرئ القيس، وتنتهى فروعه القريبة إلى نزار قبانى.

يقول عمر بن أبى ربيعة فى إحدى قصائده التى كتبها فى محبوبته «نُعْم»:

تَهِيمُ إلى نُعْمٍ فلا الشَّمْلُ جامِـــعٌ ولا الحَبْلُ مَوْصُولٌ ولا القَلْبُ مُقْصِرُ

ولا قُرْبُ نُعْمٍ إنْ دَنَتْ لكَ نافِـــعٌ ولا نأيهـــا يُسْلِى ولا أنتَ تَصْبِرُ

ومن شعراء الغزل فى العصر الأموى «جميل بن معمر» أو «جميل بثينة» الذى عرف بالغزل البدوى العفيف، حيث إنه قد أحب ابنة عمه «بثينة» وقال فيها شعرًا كثيرًا لقى بسببه العنت والنفى حتى لجأ إلى مصر أيام ولاية عبد العزيز بن مروان، وشعر جميل بن معمر حسن الأسلوب يجمع بين السهولة والرصانة والنقاد يعتبرونه نظير عمر بن أبى ربيعة فى الحاضرة، وهو دائمًا يسمو بحرماته ويرتفع عن شهوات النفس ويرضى من محبوبته بالقليل، بل أقل من القليل.

أيا ريحَ الشَّمالِ أما تَرَيْنِى أَهِيمُ وأنَّنى بادِى النُّحُولِ

هَبِى لى نَسْمةً من ريح بَثْنٍ ومُنِّى بالهُبُوب إلى جَمِيلِ

وقولى يا بُثَيْنَةُ حَسْبُ نَفْسِى قليلُك أو أقلُّ من القليـــلِ

ولا يمكن أن نعرج على العصر الأموى دون أن نذكر مجنون ليلى «قيس بن الملوح» الذى صار مثلًا للعشق الصادق الذى صرع صاحبه، بعد أن تزوجت «ليلى» من غيره فغلبه الشعور العنيف بحبها، وهامَ على وجهه واختبل عقله وأدركته المنية وهو على هذا الحال... شارد الذهن، ذاهل اللب فيما يشبه الجنون. وشعر قيس بن الملوح زاخر بصدق العاطفة وروعة التصوير وحرارة الوجد والهيام... وها هو يعبر عن رسوخ الحب فى قلبه فيقول:

لقد ثبتت فى القلب منك محبةٌ كما تثبتت فى الراحتين الأصابع

ويعبر عن الهيام وقسوة الحرمان فيقول:

معذبتى لولاك ما كنت هائما أبيت سخين حرَّان باكيا

وفى العصر الأموى لم يكن الغزل مقصورًا على الشعراء فقط، بل لقد اتجه إلى كتابته بعض الخلفاء من أمثال يزيد بن معاوية ثانى خلفاء بنى أمية الذى تميز فى غزله بالصورة الشعرية المبتكرة، فوصف الحبيبة عندما تبكى وتنتحب بأن دموعها لؤلؤ وعينيها نرجس وخديها ورد وشفتيها عناب وأسنانها بَرَد.

وأمطرت لؤلؤًا من نرجس وسقت وردًا وعضت على العناب بالبَرَد

وفى العصر العباسى نجد الشاعر «عباس بن الأحنف» الذى عاش فى زمن هارون

الرشيد لا يمدح ولا يهجو ولا يرثى ولا يفخر، بل يتغزل غزلًا عفيفًا ينم عن صدق العاطفة وطهارة الإحساس، بلغة رقيقة تنساب إلى القلوب صافية ومعبرة عن رضاه بالعذاب فى سبيل وصل المحبوبة.

فإن ساءكم ما بى من الصبر، فارحموا ... وإن سركم هذا العذاب، فعذبوا

وفى العصر العباسى أيضًا يطل علينا «أبو فراس الحمدانى» ذلك الفارس النبيل الذى يذوب رقة وعاطفة، ولكن فى اعتزاز وشموخ، ومن خلال نفس أبية ترفض الذل ولا تعرف إلا الإباء والجرأة والإقدام، فهو شاعر يذوب وجدًا وهيامًا فى مواقف الحب والصبابة ولا يجد حرجًا فى أن يحس بالضعف أمام المحبوبة والخضوع لها طالما أن ذلك من سمات الفروسية. وقد تجلى ذلك فى مقدمته الغزلية فى قصيدة «أراك عصى الدمع» التى لجأ فيها إلى طريقة الحوار مع المحبوبة ليجذب انتباه المتلقى لما تعانيه من عذاب فى الحب ويبرز لنا مكابدة الأشواق وتحمله لنيران الصبابة التى يشعلها الوجد والحرمان.

إذا الليل أضوانى بسطت يد الهوى ... وأذللت دمعًا من خلائقه الكبر

تكاد تضىء النار بين جوانحى ... إذا هى أذكتها الصبابة والفكر

وها هو الوزير العاشق «ابن زيدون» أشهر شعراء الأندلس يثرى فن الغزل بعشقه لولادة بنت المستكفى من خلال تغزله فى تلك المحبوبة بشعر تميز بالعذوبة وتوافر النغم الموسيقى وبراعة التصوير والامتزاج بالطبيعة الساحرة، وإبراز لوعة المحب الصادق الذى يكابد الأشواق فيذكر «ولادة» بأيامهما الماضية لعلها ترق وتلين فيعود ما كان بينهما من حبل الوصل.

أضحى التنائى بديلًا من تدانينا ... وناب عن طيب لقيانا تجافينا

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا ... شوقًا إليكم ولا جفت مآقينا

نكاد حين تناجيكم ضمائرنا ... يقضى علينا الأسى لولا تأسينا

حالت لفقدكمو أيامنا فغدت ... سودًا وكانت بكم بيضًا ليالينا

● فن الغزل فى أدبنا العربى الحديث:

استمر فن الغزل فى أدبنا العربى الحديث فافتتح به شعراء الكلاسيكيين بعض قصائدهم وأفرد الرومانسيون له قصائد كاملة، مثل الشاعر التونسى «أبو القاسم الشابى» الذى امتاز شعره الغزلى بالرقة والطهر والشفافية وعذوبة الألفاظ، والأنغام الموسيقية المتلاحقة، والصور الكلية التى تعتمد على عناصر الحياة المتمثلة فى الصوت واللون

والحركة وكأنه يرسم بريشة الفنان لوحة العشق الصادق الطاهر الذى يذكرنا بعشق العذريين. يقول الشابى من قصيدة «صلوات فى هيكل الحب»:

عـذْبةٌ أنتِ كالطّفـولةِ، كالأحـ ـلامِ، كاللّحنِ، كالصباحِ الجديدِ
كالسَّماء الضَّحُوكِ، كالليلةِ القمـ ـراءِ، كالورد، كابتسام الوليـدِ
أنتِ مـا أنتِ؟ أنتِ رسمٌ جميلٌ عبقريٌّ من فنِّ هـذا الوجـودِ
فيكِ ما فيه من غمـوضٍ وعُمقٍ وجمـالٍ مُقَـدَّسٍ معبـودِ

ويعتبر «إبراهيم ناجى» نموذجًا رائعًا لشعراء الغزل فى العصر الحديث حيث إنه كان يميل إلى تحليل مشاعر النفس الإنسانية، ويرسم للمحبوب لوحة شعرية بالألفاظ والكلمات التى قد توفر لها الإيقاع الموسيقى الذى يعبر عن صدق المشاعر ونقاء الأحاسيس. يقول ناجى فى وصف المحبوب:

أين مـن عينى حبيب ساحر فيـه نبل وجـلال وحياء
واثق الخطـوة يمشى ملكا ظالم الحسن، شهى الكبرياء
عبق السحر كأنفـاس الربى ساهم الطرف كأحلام المساء

ولا يستطيع ناقد أدبى أن ينكر رصيد الشاعر «نزار قبانى» الوافر فى الغزل الصريح فهو تلميذ نجيب لامرئ القيس وعمر بن أبى ربيعة فى فن الغزل الصريح، لقد استطاع نزار أن ينسج من الحروف ترنيمة عشق وقيثارة نغم، وأن يعبر عن الحب بأبسط الكلمات، فصار ضمير المحبين ونصير البسطاء من خلال قصائده التى تغنى بها المطربون والمطربات. يقول نزار قبانى:

أروع مـا فى حبنـا أنه ليس له عقـل ولا ينطـق
أجمل مـا فى حبنـا أنه يمشى على الماء ولا يغرق

وفى هذا العصر أصبح للمرأة صوت مسموع تعبر به عن مشاعرها الصادقة فى الحب دون تردد مثل الرجال، ولعل الشاعرة الكويتية «سعاد الصباح» من أبرز هذه الأصوات التى انطلقت لتعبر عن كلمات الحب التى ظلت دهورًا حبيسة الصدور.

لم يبق لى وطن أعود إليه فاجعل من ذراعيك الوطن
هم صـادروا زمنى وأصبحـت أنت الزمـن

أ/ جمال محمود صديق حماد
موجه عام الإعلام التربوي بمديرية أسيوط التعليمية

obeikandi.com